

الفضاء السردي في كلية ودمنة وفاكهة الخلفاء

غادة ابراهيم محمود محمد خليل
قسم لغة عربية شعبة ادب ونقد
جامعة حلوان

الفضاء:

يشكل الفضاء الروائي عنصرا بارزا في العمل السردى، بوصفه من عناصر القصة، فهو جزء من المكان داخل العمل القصصى، فعن طريق الفضاء يخرج الراوي إلى الطبيعة الواسعة، ويجعل الشخصيات تتحدث وتتفاعل وتتصارع مع بعضها البعض، فيجعلها تحلم وتعيش فيه وتفكر وتتأمل، فلا يمكن الاستغناء عن عنصر الفضاء في العمل السردى، فهو عمودها الفقري، وأحد مكوناته الأساسية، لأننا لا يمكن أن نتخيل أي عمل سردي دون وجود فضاء سواء حقيقي أو خيالي، فهو الذي يجمع كل عناصر الرواية، بما فيها من شخصيات وأحداث.

وقد تضاربت الآراء حول تحديد مفهوم الفضاء باعتباره أحد مكونات العمل السردى وكان لا بد من الرجوع إلى المعاجم اللغوية لتحديد مصطلح الفضاء والمكان والحيز في اللغة للتمييز بينهما.

أولا: الفضاء والمكان والحيز في اللغة:

أ-الفضاء لغة:

الفضاء عند ابن منظور هو "المكان الواسع من الأرض، والفعل فضاء يفضو فهو فاض، وفضا المكان وأفضى إذا اتسع"¹، فهو المكان المتسع من الأرض وهو المعنى نفسه الذي ورد في "المعجم الوسيط" الفضاء هو "ما اتسع من الأرض، والخوالي من الأرض ومن الدار، وما اتسع من الأرض أمامها، وما بين الكواكب والجوم من مسافات لا يعلمها الا الله ومحدثه"². وهذا يعني أن الفضاء عبارة عن مسافات واسعة وأماكن خالية مجهولة وليس لها حدود. وكذلك في معجم "متن اللغة" الذي يري أن "الفضاء: الواسع من الأرض والمكان: الصحراء: الساحة: السعة نفسها، ج أفضية"³، فالفضاء هنا يشير إلى كل ما اتسع من الأرض والصحراء تمثل فضاء واسع. وانطلاقا من المفاهيم السابقة، تذهب معظم المعاجم العربية إلى اعتبار الفضاء المساحة الواسعة والفراغ غير المحدود من الأرض.

¹ أحمد منظور: لسان العرب، ص 389، دار المعارف، مادة (فضا)

² أحمد حسن الزيات: المعجم الوسيط، دار الدعوة مؤسسة ثقافية للتأليف والنشر، (د ب)، ط2، 1989، ص 301

³ أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، م4، بيروت، 1960، ص494، مج 620

ب-المكان لغة:

ورد لفظ المكان في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى في سورة مريم "فحملته فانتبذت به مكانا قصيا"⁴. لم يكن المقصود هنا تحديدا معينا وإنما قصد مكانا بعيدا عن عيون بني إسرائيل.

وقد وضع العرب تعريفا للمكان لتمييزه؛ فقد عرفه ابن منظور في (لسان العرب) وقال: "المكان هو الموضع، والجمع أمكنه، وأماكن جمع الجمع، فالمكان و المكانة واحد، لأنه موضع لكيونة الشيء، فالعرب تقول: كن مكانك وقم مكانك، فقد دل هذا علي أنه المصدر"⁵، فالمكان هنا يأخذ معني المنزلة والموضع. وفيه درجة من التحديد والتعبير عن حيز معين.

وقد فرق "مختار الصحاح" بين الفضاء والمكان فقال "الفضاء الساحة ما اتسع من الأرض وقد أفضي خرج إلى الفضاء أفضي إليه بسره ومنه يمكن القول إن الفضاء يشترط فيه أن يكون ممدودا مطلقا بخلاف المكان الذي يتوجب أن يكون محدودا ومسكونا فيزيائيا"⁶، أي أن الفضاء لا محدود ولا متناه على عكس المكان فهو البنية الصغرى للفضاء الذي لا بد أن يكون محدودا متناه.

ج -الحيز لغة:

جاء الحيز في لسان العرب لابن منظور "حيز: الحَوْرُ والحَيْرُ: السَيْرُ الرَّوَيْدُ والسَوِّقُ اللَّيْنُ. وحازَ الإِبِلَ يَحُوْزُها ويحيزُها: سارَها في رفق. والتَّحْيِزُ: التَّلَوِّي والتَّقْلِبُ"⁷.

وحَوَزَ الدَّارَ وحيزَها: ما انضَمَّ إليها مِنَ المرافقِ وَالْمَنَافِعِ. وَكُلُّ نَاحِيَةٍ عَلَي جِدَةٍ حَيَزَ، بِتَشْدِيدِ الياءِ، وأصله مِنَ الوَاوِ. والحَيْرُ: تَخْفِيفُ الحَيْرِ مِثْلُ هَيْنٍ وهَيِّنٍ وَلَيِّنٍ وَلَيِّنٍ، وَالجَمْعُ أَحْيَاؤُ نَادِرٌ⁸. فالحيز مرافق ومنافع واتجاهات ومن ثم فهو يعتمد الجانب المادي الملموس الذي يمكن إدراكه بحاسة من الحواس الخمس وهي حاسة البصر.

⁴ سورة مريم: الآية 22.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، مج 19، ط 13، مادة مكن، ص 113.

⁶ محمد بن أبي بكر الرازي -: مختار الصحاح - ضبط مصطفى ديب دار الهدى - بيروت - ط 4 - 1990 - ص 323.

⁷ ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، مادة حوز، ص 343.

⁸ المصدر نفسه: ص 342.

د-الفضاء اصطلاح:

يمثل الفضاء عنصرا أساسيا في العمل السردي، فكل حدث في الرواية لابد له من مكان محدد يدور فيه، فهو الإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات الروائية داخل الحكاية ويتفاعل مع العناصر الأخرى مثل الزمان والشخصيات، ففي العصر الحديث نجد العديد من النقاد الذين تناولوا مصطلح الفضاء.

ونظرا للتشابه بينها فقد خلط بعض النقاد بين مفاهيم المكان والفضاء والحيز، بينما هناك من مزج بينهما باعتبار كل منهما يعبر عن الآخر، فبعضهم اعتبر أن الفضاء هو المكان والعكس وورد العديد من الاصطلاحات علي عنصر الفضاء، وللنقاد آراء متنوعة حول مصطلح الفضاء فنجد الناقد حميد حمداني تطرق إلى دراسة المكان في كتابه "بنية الشكل الروائي" وفرق بين الفضاء والمكان، فالمكان عنده يعد جزءا من الفضاء، والفضاء أعم وأشمل من مصطلح المكان، فيقول: "الفضاء أشمل، وأوسع من معني المكان، والمكان بهذا المعني هو مكون الفضاء. وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددًا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية"⁹. ويلاحظ مدى الاتفاق بين الجانب اللغوي والاصطلاحي في تعريف الفضاء وهو شموله على الجانبين المادي والخيالي في الرواية ويتجاوز ذلك إلى الأحداث والذي تتشكل من خلالها فضاء الرواية، فالفضاء الروائي هنا مجموع مكون من عدة خصائص من بينها المكان، فالمكان عنده يعد جزءا من الفضاء، وبالتالي الفضاء أكبر وأشمل من المكان.

يؤكد سعيد يقطين على هذه الفكرة بقوله "إن الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير على ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا. إنه يسمع لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود والمجسد لمعانقة التخيلي، والذهني، ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء"¹⁰ والملاحظ في كلام يقطين أن الفضاء أعم وأشمل من الأماكن

⁹ حميد حمداني: "بنية النص السردي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص63

¹⁰ سعيد يقطين: قال الراوي البنيات الحكاية في السيرة الشعبية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص240.

وأنة يتخطى بالفضاء حيز المحدود ويتجاوززه إلى التخيلي والذهني وهو هنا يخرج من الحيز المادي المرئي إلى غير المرئي بمعنى يمنح المصطلح بعدا تخيليا أعمق.

فالفضاء واسع المفهوم، فوجد محمد عزام ربط الفضاء بالأماكن المحددة جغرافيا فيقول عن الفضاء بأنه "يمكن اعتبار الفضاء الروائي هو مجموع الأمكنة المحددة جغرافيا، والتي هي مسرحا لأحداث وملعب الأبطال"¹¹ أي أن الفضاء في نظره يشمل كل الأمكنة الجغرافية المحدودة الموجودة في العمل السردي والتي لا يمكن دراستها بمنعزل عن باقي العناصر الحكائية لتشكيل عالم الرواية، فالمكان عنده لا يشكل الا بوجود الأبطال فيه والأحداث التي يقومون بها في المكان.

وتتفق الباحثة هنا مع كلام لحمداني وسعيد يقطين ومحمد عزام في فصلهم بين الفضاء والمكان خاصة وأن الفضاء شاسع في المقولة الأولى وفي المقولة الثانية يتسم بالشمول وفي المقولة الثالثة نجد الفضاء مميز يشمل كل الأمكنة، فالفضاء أوسع من المكان فهو الذي يحدده.

الفضاء هو إطار شامل لجميع الأماكن الموجودة في العمل الفني ففيه تتفاعل جميع العناصر الروائية "مجموعة من الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص السردي"¹² أما حسن نجمي فيرى "أن مفهوم الفضاء أكثر انفلاتا وسعة مما تقدمه أغلب الدراسات النقدية في خصوص هذا المفهوم، ويتساءل عن فضاء الحلم، الموت، الذاكرة، الهوية..."¹³ أما الفضاء في رؤية سيزا قاسم فهو مكان تخيلي له لأبعاده المميزة، فنجدها قد جعلت الفضاء ملتصقا بالخيال فتقول "مكان خيالي له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة"¹⁴ ، وتتكون أهميته في تفاعل الإنسان مع الزمن "كما هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال وبقدر ما يتفاعل الانسان مع الزمن يتفاعل مع

¹¹ محمد عزام: فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط4، 1996، ص55.

¹² أحمد مرشد: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص63.

¹³ حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص44.

¹⁴ سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دب)، (د ط)، 1984، ص74

الفضاء، بل يمكننا القول: إن تاريخ الانسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء "15 يشكل الفضاء عنده إطارا فسيح لحركات وأفعال الانسان والكائنات التي تعيش فيه، أي أنه له صلة وثيقة بالإنسان الذي يتفاعل مع الزمن ويتفاعل مع الفضاء، فالفضاء هنا لا يقل أهمية عن الزمن في العمل الروائي .

أما عبد الملك مرتاض فقد خالف الدارسين وفضل مصطلح الحيز على مصطلح المكان والفضاء وذكر السبب وراء اختياره حيث يقول "إن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى التتوء والوزن والثقل والحجم والشكل، علي حين أن المكان نريد أن نفقه علي الحيز الجغرافي وحده "16

المفهوم وإشكالية المصطلح:

أطلق النقاد العديد من الاصطلاحات التي تدل على عنصر المكان كالفضاء والحيز، ونتجت إشكالية تعدد مصطلح الفضاء الروائي بسبب ارتباطه بالمكان، ولكن "فالمكان يعني الجغرافيا، والفضاء يعني الأجواء العليا التي لا سيادة لأي بلد فيها كما يعني الفضاء بالضرورة الفراغ، أما المجال فقد يعني الحيز الأعلى الذي يقوم فوق وطن ما "17

ونخلص من كل ما سبق أن الفضاء معنى عام يشمل المكان وغير المكان ويشمل المادي والتخيلي بينما يمثل المكان الجانب المادي وحده والذي يمكن لمسه ماديا، أو بواسطة الحواس علي عكس الفضاء الذي لا يمكن إدراكه بالحواس، وهو الوحدة الصغرى بالنسبة للفضاء، بينما يعد الحيز جزءا أصغر من المكان ويتفق معه في جانبه المادي الملموس، وبالتالي هو جزء أصغر من الفضاء وأخص منه.

تصنيفات الفضاء:

حصر حميد حمداني الفضاء في أربع مكونات هما:

- الفضاء الجغرافي (الفضاء معادلا للمكان): فضاء الأماكن والمساحة الجغرافية داخل النص الأدبي أي أنه الحيز المكاني أو المناخ الذي تدور فيه أحداث الرواية

15 حسن نجمي: شعرية الفضاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص1، ص32.

16 عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، البحث في تقنية السرد، الكويت، عالم المعرفة، 1998، ص:141.

17 عبد الرحمن بن زورة: شعرية الفضاء في النقد المغربي المعاصر - المفهوم والتحويلات، مركز الكتاب الأكاديمي،

وتتحرك فيه العناصر الروائية وتتفاعل مع بعضها البعض داخل الحكاية أمام أعين القارئ، وهذا الفضاء يحدده المؤلف عند كتابة النص السردي.

● الفضاء النصي: هو فضاء الكتابة الروائية وهو فضاء اللفظي يظهر للقارئ أمام عينيه، أي أنه مساحة "الصفحة" داخل الحكاية، فالفضاء النصي عند حميد حمداني هو "الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها - باعتبارها أحرف طباعية - علي مساحة الورق، ويشمل ذلك: تصميم الغلاف، ووضع المعالم، وتنظيم الفصول وتغييرات الكتابة المطبعية، وتشكيل العناوين وغيرها" ¹⁸. أي أن الشكل الخارجي وجغرافية الكتابة والمظهر الطباعي يدخل ضمن الفضاء النصي .

● الفضاء الدلالي: هو فضاء لغة النص والصور التي تنشئها لغة النص وهذا الفضاء المجازي موجود في اللغة والتراكيب، فهو يرتبط بالمعاني والصور المجازية المتعددة للدال الواحد، وذلك لأن اللفظ الواحد في اللغة العربية قد يكون له أكثر من مدلول، فهذا الفضاء الدلالي هو " ما يحيل عليه الفضاء من أبعاد ودلالات وصور مجازية، تخلفها لغة الحكيم " ¹⁹ فالفضاء الدلالي يعطي مساحة واسعة داخل مخيلة القارئ حتى يصل إلى المعنى المطلوب.

● الفضاء كمنظور أو رؤية: هذا الفضاء يرتبط بالمؤلف ارتباطاً تاماً، فالفضاء وجهه نظر مؤلفه، فكل كاتب له رؤية ووجهة نظر تختلف من كاتب لآخر فالكاتب هو الشخص الوحيد المتحكم في العمل السردي من أوله إلى آخره وكذلك في تحديد الأمكنة الجميلة منها والقبیحة لأنها جزء من فلسفته ورؤيته في الحياة وهو المسئول عن الشخصيات الموجودة فهم "أبطال يتحركون علي واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح" ²⁰.

ويوجد نوع آخر من الفضاء يطلق عليه الفضاء الروائي وهذا الفضاء يرتبط بالكلمات الموجودة داخل الكتاب وكذلك اللغة فهو أيضاً فضاء لفظي.

¹⁸ حميد حمداني: بنية النص السردي، ص 55

¹⁹ حورية الظل: الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجاً، ص 27.

²⁰ حميد حمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62

المكان معادل للفضاء:

تقدم سيزا قاسم رابطا بين كل من المكان والزمان في الرواية فتقول: "إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل الخلفية في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث. وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان فالزمن يرتبط بالإدراك النفسي أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي"²¹

"فالمكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع والمواقف والذي تحدث فيه اللحظة السردية، فمثلا إذا قام السارد بأداء سرده من سرير في أحد المستشفيات فإن هذا أو أنها على حافة الموت وأنها تسارع من أجل أن تكمل سردها"²²

أهمية الفضاء:

يلعب الفضاء دورا مهما في العمل السردى، ويشكل عنصرا حيويا من العناصر التي يقوم عليها العمل السردى، ويختلف المكان في الرواية عن المكان في الواقع فهو في الغالب مكان خيالي والمكان في الرواية له أهمية كبرى لأنه يعد من التقنيات الأساسية التي يعتمد عليها العمل السردى، فلا يمكن دراسة الفضاء منعزلا عن باقي العناصر الأخرى فمثلا الشخصيات لا يمكن أن تتفاعل مع بعضها البعض وتتحرك في الفراغ دون وجود فضاء محدد فنجد محمد عزام يؤكد هذا الرأي ويقول "تنبثق دراسة من كونها مرشدا إلى نماذج أكثر دلالة علي الحياة وإسهاما في تطوير الابداع الادبي.... كما أنه يحتل حيزا كبيرا وهاما في الرواية العربية، ذلك أنه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ ودون مكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب بل وكنصر حكائي قائم بذاته"²³. أي أن المكان عنصر أساسي مهم لا يمكن دراسته معزولا عن باقي عناصر الرواية الأخرى.

²¹ سيزا قاسم: "بناء الرواية" دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، سنوات مهرجان القراءة للجميع 2004 إبداع المرأة، ص106.

²² جيرالد برنس: "قاموس السرديات" ت. عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص214.

²³ محمد عزام: "فضاء النص الرائي مقارنة بنوعية تكوينية في أدب نبيل سليمان"، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص111

ويرى حسن نجمي أن أهمية المكان في العمل الروائي في كونه: "يلعب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الاجتماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، وقد أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم"²⁴.

بينما يلح باشلار على أهمية المكان أيضا في قوله: "لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل لدلالة، ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية، لذا يري البعض أن العمل الأدبي حين يفقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي أصالته"²⁵.

فالمكان عنصر رئيس في القصة لا يمكن الاستغناء عنه إذ يفسر كثيرا من الأحداث فهو يعطي دلالات لا غني عنها، وبدون المكان لا يوجد مكان للحدث، فالحدث لا يقع في الفراغ، حتى لو وقع في الفراغ فهو مكان الحدث نفسه.

وبعد دراسة الكتابين موضوع الدراسة ظهرت العديد من الفضاءات التي جرت فيها أحداث الرواية والتي تنوعت بين فضاءات اجتماعية وفضاءات طبيعية:

الفضاءات الاجتماعية: أماكن من صنع الانسان وتزخر حكايات فاكهة الخلفاء ومفاكهة الطرفاء بالعديد منها؛ وهي أماكن يستقر الانسان فيها، ويلجأ إليها ليجد الأمان والراحة المتمثلة في البيوت والقصور والحديقة وغيرها عند ابن عرب شاه بكثرة، وذلك بسبب كثرة العنصر البشري في قصصه.

الفضاءات الطبيعية: وهذه الفضاءات ليست من صنع الانسان ولا دخل له في تكوينه وتزخر حكايات كليلة ودمنة بالعديد من الفضاءات الطبيعية عنده، وهي أماكن يستقر فيها الحيوان، وملجأ له والمتمثلة في الغابات والجبال والكهوف والوديان وغيرها وذلك بسبب غلبة العنصر الحيواني في قصص ابن المقفع في كليلة ودمنة.

²⁴ حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1 2000، ص 355

²⁵ باشلار غاستون: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ص5.

إن دراسة البحث تتناول الفضاء الجغرافي بسبب تجسيده في الكتابين محل الدراسة بكثره حضوره، فنجد أن كل من ابن المقفع وابن عرب شاه لجأوا في أغلب حكايات الكتابين محل الدراسة إلى فضاء خيالي ورمز يعبر كل منهما من خلاله عن القضايا السياسية والاجتماعية الموجودة في عصر كل منهما وما شهدته كل كاتب منهما من القهر والظلم وتقييد للحريات لعل أبسطها هي حرية التعبير مما جعلهم يلجئون إلى الرمز حتى في اختيار الفضاء الروائي الذي تدور فيه الأحداث للتعبير عما بداخلهم دون خوف ولكي يتجنب كل منهما بطش الحاكم.

ويعود اختيار الفضاء والتركيز عليه دون غيره من الاقتراحات النقدية مثل المكان والحيز وذلك لحضور الفضاءات الطبيعية والاجتماعية وتنوعهما بكثرة في الكتابين محل الدراسة وتنوعه. وقد تطرقنا في هذه الدراسة إلى تناول الأماكن الأساسية ضمن ثنائية (الفضاءات المغلقة والفضاءات المفتوحة).

الفضاء المفتوح:

الفضاء المفتوح ويقصد به هي الأماكن المتسعة المفتوحة التي ليس لها حدود سقفيه، فالفضاء المفتوح مكان طبيعي ليس للإنسان دخل في تشكيله وتكوينه، مثل الصحراء والغابة مثلا، ولا تلزم الشخصيات الإقامة الدائمة الجبرية فيها فهي أماكن إقامة اختيارية، يقضي فيها الشخصيات بعض الوقت، فهي ليست أماكن للراحة والاسترخاء والعيش والألفة، ودلالة الأماكن المفتوحة تمتاز بالحرية والتنقل فيها بسهولة دون قيود، فهي ليست مقصورة على شخص بعينه بل متاحة وعامة للجميع فيستطيع كل فرد التواجد فيها دون تفرقة، وتتميز بالاتساع والانفتاح، فهي تترك للشخصيات الحرية الكاملة مع الالتزام وعدم الاخلال بالتقاليد الاجتماعية.

فالمكان المفتوح هو الذي "يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الاخلال بالعرف الاجتماعي أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية وهو عنصر أساسي تتحرك من خلاله الشخصيات الروائية فضلا عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل مع الكاتب"²⁶.

²⁶ حسين فهد: المكان في الرواية الرمزية، دراسة في ثلاث روايات "الجدار، الحصار، أغنية النار"، ص 80

وللمكان المفتوح قيمة كبيرة في السرد الروائي لذلك "تتخذ الروايات عموماً أماكن متفتحة على الطبيعة، وتوثر بها الأحداث مكانها، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرضه الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها، إذ تظهر فضاءات أخرى وتختفي أخرى"²⁷.

وتعد الأماكن المفتوحة في قصص "كليلة ودمنة" و"قصص" فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء "ذات أهمية كبرى فهي مسرح الأحداث ففيها يدور الحوار بين الشخصيات في العملين محل الدراسة وعلى الرغم من وجود تشابه واختلاف في الأماكن المفتوحة إلا أن لكل فضاء دلالاته الخاصة به. ومن ثم فقد ورد في كتاب "كليلة ودمنة" وكتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" العديد من الأماكن المفتوحة التي كانت لها أهمية بالغة في بناء النص فهي تعطي للشخصيات حرية الحركة والفاعلية والربط بين أجزاءه فمن الأماكن المفتوحة التي وردت عند ابن المقفع وابن عرب شاه.

ساحل البحر:

البحر من المساحات الجغرافية التي ليس لها حدود واضحة وتوحي بالمجهول، وهو ذلك المكان المفتوح الواسع الذي يتجمع فيه ماء كثير، وفضاء البحر فضاء عمل وهو من الأماكن العامة وليس ملكاً لشخص بعينه، يقول "هاملتون" الفيلسوف البريطاني: "البحر يا صاحب السمو، ليس المياه والزرقة والأمواج، إنه فلسفة كاملة، تبدأ بالخوف ثم التأمل وأخيراً التواصل"²⁸.

فساحل البحر من الفضاءات المفتوحة التي قام عليها فعل السرد في الكتابية، وقد ذكره ابن المقفع في كليلة ودمنة ففي قصة "مثل الموكل بالبحر مع الطيطوي" يقول الراوي "قال دمنة: زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوي، كان وطنه علي ساحل البحر ومعه زوجة له. فلما جاء أوان إفراخها قالت الأنثى للذكر: لو التمسنا مكاناً حريزاً غير هذا نفرخ فيه، فإني أخاف من البحر، إذا مد الماء، أن يذهب بفراخنا"²⁹.

²⁷ الشريف جبيلة: بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، ط1، مجلد 1، ص2010، 244.

²⁸ إبراهيم صالح: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص21.

²⁹ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، مهد له وضبطه وشرحه وناقشه وقابل نصوصه، د حبيب يوسف مغنية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص203.

فالطير بطل القصة بيئته البحر وموطنه على سطحه وساحله ،فكانت العلاقة بين الشخصية "طائر الطيطوي" والمكان "ساحل البحر" علاقة طبيعية وطيدة لأن طائر الطيطوي من الطيور الساحلية ،التي تعيش على الساحل يتميز بطول سيقانه وأجنحته الصغيرة وعند التكاثر يفضل طائر الطيطوي العيش في الأماكن المفتوحة بالقرب من حافة الماء ،فاختار المؤلف لساحل البحر هنا اختيار موفق، وذلك لأن ساحل البحر هنا المكان الذي يلجأ إليه ،وقد تحولت دلالة ساحل البحر في هذه القصة من مكان يتسم بحرية التنقل ومصدر للرزق لخيراته الكثيرة إلى مكان يتسم بالخوف والرعب من المجهول نتيجة التهديد بالأذى والشر فتحول إلى مكان للانتقام ،لأنها لم تشعر بالأمان فيه "فأفرخي في مكانك فإنه موافق لنا ،والماء والزهر منا قريب .قالت له :يا غافل ،ما أشد عنادك ،وتصلبك ،أما تذكر وعيده وتهديده إياك ؟ألا تعرف ونفسك وقدرك في وعيد من لا طاقة لك به ؟فأبي أن يطيعها"³⁰. فالبحر هنا بوصفه شكلا خارجيا ذا لون بديع وفيه عمق وتخيل للجمال والرعب للخوف من المجهول، ومن ثم فللبحر خصوصية عند ابن المقفع لذلك نجده ورد بمعنى آخر فهو فضاء يلجأ إليه الزاهد للعبادة يقول السارد "إن بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار، ويقوم الليل كله، ولا يؤذي دابة، ولا يرهق دما. عيشه من الحشيش وما يقذفه إليه البحر"³¹.

النهر:

النهر من الفضاءات المفتوحة على الطبيعة، فيوحي منظره العام بالاتساع وهو رمز للخير، ومصدر للرزق التي وردت في " كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء " في قصة (مالك الحزين والسمة) يقول السارد " كان في بعض المروج من قري سروج نهر كثير الحيتان شديد الجريان، وفي مكان منه مصون مأوي لمالك الحزين البلشون، فكان يتصرف في السمك تصرف المالك فيما ملك، قضي في ذلك عمره وزجي أوقاته في طيب عيش ومسرة"³². فالنهر بالنسبة لمالك الحزين الملاذ الأمن له ومصدر لرزقة.

الغابة:

30 عبد الله بن المقفع : كليلة ودمنة ، ص203

31 المصدر نفسه: ص 302

32 ابن عرب شاه :فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، حقه وعلق عليه: أيمن عبد الجابر البحيري الناشر: دار الأفاق العربية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 ، ص 474

الغابة من الأماكن المفتوحة المعزولة عن الانسان فهي مأوي للحيوانات، وهي أرض غير مزروعة بالمعنى المفهوم، فيها أشجار كثيفة، يقول باشلار عن المكان المفتوح بالغابة - إذ يقول خاصة - بغموض مساحتها التي تمتد إلى ما لانهاية، متجاوزة قناع جذور الأشجار وأوراقها، الساحة المتحجبة من أعيننا، ولكنها مفتوحة للفعل³³

شكلت الغابة أحد الفضاءات المفتوحة التي ذكرها ابن المقفع في أكثر من موضع ولم نلمس حضورها في فاكهة الخلفاء على الرغم من سرد القصص على لسان الحيوان فالغابة من الأماكن المفتوحة التي يعيش فيها الحيوانات لكن حضور الغابة لم يكن بالقوة الدافعة في النص.

وقصة "مثل الأسد وابن آوي والحمار" حكاية متفرعة من الحكاية الإطارية "القرد والغليم" احدي القصص التي تناولت الغابة كمكان مفتوح و تناقش هذه القصة صراع القوي مع الضعيف ، "قال ابن آوي :فأنا أدلك علي مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان ،خصيب المرعي ،فيه عانه من الحمر ترعي أمنة مطمئنة"³⁴.أظهرت هذه القصة بعضا مما يقصده السارد من وعظ ونصح وإرشاد ،فيقف القارئ هنا ليتأمل كيف ظفر ابن آوي علي الأسد فقد كان يأكل بقايا طعامه ،فالأسد هو ملك الغابة ولكن مرض الجرب الذي أصابه جعله ضعيفا وكان علاجه الوحيد كما وصفه الأطباء هو قلب حمار و أذناه ، وابن آوي كان يبحث عن علاج الأسد ،فقد تمكن ابن آوي من العثور علي حمار سبب ضعفه الوحيد بأن صاحبه يتركه جائعا ،وبسبب دهاء ابن آوي انتهز هذه الفرصة و تمكن من استدراج الحمار إلى عرين الأسد ،فمن الطبيعي ان يهجم الأسد علي الحمار ويفتك به حتي يحقق هدفه ولكن بسبب مرض الأسد حدث عكس ما هو متوقع فانتصر الحمار علي الأسد وهرب وهذه أول مره ،وفي المرة الثانية تمكن ابن آوي من خداع الحمار حيث صدق ابن آوي مرة أخرى و استطاع خداعة للمرة الثانية و إنقاد مع ابن آوي إلى عرين الأسد وتكون هذه نهايته فقد هجم عليه الأسد وقتله وفرح الأسد لأنه وجد علاجه الا أن الأطباء طلبوا من الأسد أن لا يأكل الا بعد الغسل والطهور فطلب الأسد من ابن آوي أن يحتفظ به حتي يغتسل ،وعندما عاد من الاغتسال وجد ابن آوي أكل قلبه و أذنيه فقد أكد لنا الراوي وأظهر صورته الحقيقية في مخيلة القارئ فهو

³³ غاستون باشلار: جماليات المكان ص171

³⁴ عبد الله بن المقفع: كليله ودمنة، ص 340

غبي، "قال ابن آوي: ألم تعلم أنه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة؟"³⁵

فالغابة هي المكان الأمتل لأحداث هذه القصة ففي الغابة يأكل القوي الضعيف كما حدث في القصة السابقة، فمن الطبيعي أن ينتصر في النهاية ولكن ابن آوي بعد أن تحمل مكر الأسد والصبر علي الشدائد وطاعته للأسد تمكن في النهاية من هزيمته بسبب علمه وحلمه ولأن القصة عباره عن صراع القوي مع الضعيف فإن الغابة تحولت من مكان يعيش فيه الحيوانات بحريه والانتقال بسهوله إلى مكان لصراع قوة السلطة الكبرى مع ذو العلم والحلم فهذا هو الواقع، ونلاحظ أن الحضور للغابة كان ضعيفا ولم يركز السارد عليها في الحكى، بل استدرج الحمار ليغلق المكان المفتوح / الغابة ويجعله في عرين الأسد وهو مكان مغلق داخل مكان مفتوح .

وهنا يظهر عناية الراوي بالمضمون والهدف علي حساب المكان و هذه القصة تشبه إلى حد بعيد ما حدث بين الملك دبشليم و بيدبا فقد كان دبشليم ظالما لرعيته فوجه له الفيلسوف بيدبا بعض النصائح لرده عن الظلم عن طريق قصص علي لسان الحيوان التي ترمز إلى البشر بهدف تهذيب الملوك فجاء الفضاء المفتوح ملائم لطبيعة الشخصيات (الحيوانات) ، فالشخصيات هنا من حيوانات الغابة، والغابة من الأماكن المفتوحة التي يعيش فيها الحيوانات "وتقدم ابن آوي، ودخل الغابة علي الأسد، فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه، فلم يستطع لضعفه، وتخلص الحمار منه فأفلت هلعا علي وجهة. فلما رأي ابن آوي أن الأسد لم يقدر علي الحمار قال له: يا سيد السباع أعجزت إلى هذه الغاية؟"³⁶. فليس المكان هنا بالشيء المنفصل عن الشخصيات، بل هو مرتبط بها.

وقد وردت الغابة عند ابن المقفع بصفات وأسماء أخرى ومن الأسماء "الأجمة" ويقصد بها الشجر المتلف الكثيف، والتي وردت في قصة "مثل الثعلب والظبل" وهي قصة فرعية من باب "الأسد والثور" يقول الراوي: "قال دمنة: زعموا أن ثعلبا أتى أجمة فيها طبل معلق علي شجرة"³⁷ فالأجمة هنا مأوي الأسد

³⁵ المصدر نفسه : ص341

³⁶ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، دكتور حبيب يوسف مغنية، ص 340

³⁷ المصدر نفسه: ص158

وفي "مثل المكاء الطائر والسرطان" يقول الراوي "قال ابن أوي: زعموا أن عرجوما عشش في أجمة كثيرة السمك"³⁸. فالأجمة فضاء واسع كثيف الأشجار ممتلئ بالحيوانات.

الغدِير:

غدير [مفرد]: ج عُدرٌ وعُدُرٌ وعُدْران: مياه راکدة، قليلة العمق، يغادرها السَّيلُ، مستنقع الماء "تكوّنت الغدران بعد انتهاء السيل- تعيش الضفادع في العُدْران"³⁹. فالغدِير من الأماكن المفتوحة، ويقصد بها بركة صغيرة من الماء، وهو فضاء طبيعي مفتوح علي العالم الخارجي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل، فالغدِير بوصفه مكانا مفتوحا جغرافيا يمثل بعدا مكانيا اعتمد عليه ابن المقفع في ذكره في "كليلة ودمنة" ورد في قصة "السمكات الثلاثة" وهي قصة متفرعة من الحكاية الإطارية في باب "الأسد والثور" وقد وصفت القصة هذا المكان من الخارج ودار الحوار بين السمكات الثلاثة داخل الغدير، وبالرغم من أن المكان "الغدِير" مفتوحا علي العالم الخارجي إلا أنه معزول عن النهر الكبير، يروي دمنه القصة علي سبيل الاسترجاع الخارجي "قال دمنة: زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث من السمك: كيسة وأكيس منها وعاجزة، وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربه أحد. وبقره نهر جار"⁴⁰. تدور أحداث هذه القصة داخل الغدير بين السمكات الثلاثة، الأولى ذكية والثانية مدبرة عاقلة والثالثة كسولة، فقد كان هذا الغدير مأوي لهم فقد كانوا يعيشون فيه حياه يسودها الراحة والأمن وتتكاثر فيه إلى أن أتى اليوم المرير، وهو عند مرور مجموعة من الصيادين اكتشفوا هذه البركة المليئة بالأسماك فتوعد الصيادون بالعودة مرة أخرى إلى هذا الغدير لصيد هؤلاء السمكات الثلاث حتي يكونوا وجبة شهية له، فالسمكة الذكية نجت بسرعة عن طريق خروجها من الغدير قبل أن يغلقه الصيادون إلى النهر، فالتعجل في اتخاذ القرار جعلها تنجو بسرعة دون تفكير وأما السمكة العاقلة فنجت أيضا ولكن عن طريق أعمال عقلها فهي تظاهرت بالموت عندما أغلق الصيادون الطريق المؤدي إلى النهر وعندما جاءت

³⁸ المصدر نفسه: ص 172

³⁹ - ابن منظور: لسان العرب مادة غدر

2 - (جغ) نُهَيْرٌ، نهر صغير "أعجبه منظر الطيور على ضفاف الغدير" ° غديرا الوجنتين: مجريا الدمع في الوجنتين- غدِير من الضَّوء- لحيا الغدير: جانباه. معجم اللغة العربية المعاصرة 3534-مادة غ در (2/ 1597).

⁴⁰ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، ص 184

الفرصة المناسبة ألفت بنفسها إلى النهر ونجت منهم، وأما العاجزة الكسولة فكانت هي الوليمة لهم، لأنها تمسكت بالغدير موطنها الأصلي، والغدير هنا تحول من مأوي للراحة والاستقرار إلى مكان مفتوح يحاصره الأعداء من كل مكان للظفر بهذه السمكات الثلاثة، وهذا المكان كشف لنا ما بداخل كل شخصية فعلي الرغم من مشاعر الحب الظاهرة عليهم إلا أنه وقت الأزمة فكرت كل واحدة التصرف لوحدها فانتصر العقل وانهزم الجهل، فيعطي ابن المقفع نصيحة علي لسان الحيوان مفادها وجوب الحذر في كل وقت فهؤلاء السمكات في الحقيقة ترمز إلى ثلاثة أنواع من الناس منهم الذكي الحازم في اتخاذ قراراته والمدبر العاقل والعاجز الكسول، فالعاقل ينجو بعلمة وذكاءه والجاهل يموت بعجزه لأنه يمقت نصيحة الآخرين، جاء الغدير إطارا يحوي الحديث والحوار بين السمكات الثلاثة في موضوع معين، وهذا المثال جسد فيه المؤلف الواقع الحقيقي فالشخص الضعيف لا يستطيع أن يعيش في موطنه مستقرا أمنا بسبب انعدام الأخلاق وسيطرة القوة الظالمة.

المدينة:

تعد المدينة من أهم الأماكن المفتوحة التي يعيش فيها الإنسان، ففيها الشوارع المفتوحة والأماكن الفسيحة، والبيوت الواسعة النظيفة نوعا ما عن بيوت القرية، ومن ثم فهي مركز لتجمع أفراد المجتمع، من الناحية الاجتماعية فهي تستقبل جميع فئات المجتمع، فالمدينة مكان عام يوحي بالاتساع والانفتاح على العالم الخارجي، واشتق الاسم المدينة مقابل القرية والصحاري لتدل على البناء والعمار والتقدم، فقد عمد كلا الكاتبين إلى ذكر اسم المدينة فقط كفضاء مفتوح واقعي دون التطرق إلى وصفها فهي عبارة عن مكان يدور فيه الأحداث.

فمن المدن التي وردت في كتاب "كليلة ودمنة" مدينة داهر⁴¹، فهي من المدن الهندية، فضاء جغرافي، وهذه المدينة لها وجود في الحقيقة وهي تمتلك وجودا مرجعيا حقيقيا

41 علي محمد محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، 2008 م، (3/ 56) عبر محمد بن القاسم نهر (مهران) مما يلي بلاد الملك (راسل) ملك (قصة) من الهند على جسر عقده، و (داهر) مستخف به لاؤه، ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة فاشتد القتال بشكل لم يسمع بمثله وترجل (داهر) وقاتل حتى قتل عند المساء، فانهزم أصحابه وقتلهم المسلمون كيف شاءوا فقال قاتل داهر 4913 الخيل تشهد يوم داهر والقنا... ومحمد بن القاسم بن محمد أني فرجت الجمع غير معدد 4914..... حتى علوت عظيمهم بمهند فتركته تحت العجاج مجندلا... متعفر الخدين غير موسد

فهي ليست من وحي خيال المؤلف ،فقد اتخذت هذه المدينة مظهر الغموض فلم يتحدث الراوي عن التفاصيل الكاملة لهذه المدينة بالرغم من أن أحداث القصة تجري فيها وتتحرك الشخصيات في إطار هذه المدينة ،فاستهل المؤلف القصة بتحديد بعض من تفاصيل هذا المكان فهو مكان يتردد عليه الصيادون ليلتقطوا فيه ما قد قدر لهم من الصيد ،فهو مكان مخصص للصيد ،فالمكان هنا حقيقي ،ومنه نفهم أن المدينة هنا ساحلية تقع علي البحر ، يقول الراوي في باب " الحمامة المطوقة "قال بيدبا :زعموا أنه كان بأرض سكاوندجين ،عند مدينة داهر ،مكان كثير الصيد ، ينتابه الصيادون " .⁴² فقد حدد لنا الكاتب من خلال هذا الوصف اهم ما تتميز به مدينة داهر الا وهو الصيد ليصف لنا موقع المدينة وطريقة العمل المعروف فيها وهو الصيد لكون موقعها ساحليا .

ومن المدن التي وردت عند ابن عر بشاه دون التداخل في وصفها مدينة بلخ في حكاية "التاجر البلخي " ، فقد حلق الكاتب في خياله بعيدا وضمن قصته الأساسية فضاء واسعا ليسرد فيه خيانة زوجة التاجر البلخي له في غربته ، فنجد الكاتب لم يتطرق إلى المدينة سوي بذكر اسمها فقط ، "قال مبارك الميلاد :بلغني من أحد العباد ،الذين طافوا البلاد ،أنه كان في مدينة بلخ تاجر ،كثير العروض والمتاجر ،عريض المال والجاه ،غزير الضياع والمياه ،تكاثر نقوده الرمال ،وتباهي خزائنه معادن الجبال " .⁴³ ومدينة بلخ "مدينة تقع بين شرق إقليم خراسان وجنوبي نهر جيحون ،فتحها العرب سنة 653م."⁴⁴ .

ومن المدن أيضا التي ذكرها ابن عرب شاه "مدينة بغداد " وردت في "قصة المرأة البغدادية مع زوجها وحرفائها الأربعة "يقول الراوي "قالت كان في مدينة السلام بغدان ، امرأة من المتخذات أخذان ، اسم زوجها زيد ، وهي أم عمرو وذات كيد ، لها عدة أخذان ، تدعو لكل بالإخوان ،وكل ينشد في السر والإعلان "⁴⁵ .

الأرض:

الأرض مكان مفتوح واسع غير محدود، فالأرض تمنح الناس حرية الفعل والحركة والتنقل، فهي مكان للمشى ومفتوح على العالم الخارجي، حيث يقوم الناس في السعي

⁴² عبد الله بن المقفع: كتيبة ودمنة، ص 263

⁴³ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح، أ.د. محمد رجب النجار، ص260

⁴⁴ المصدر نفسه: ص260

⁴⁵ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، ص447

في الأرض لقضاء حوائجهم، فعن طريق الأرض نجد الناس سواسية في البحث عن الرزق فلا فرق فيها بين غني وفقير، فالأرض مكان مفتوح عام "الأمكنة العامة التي تمنح للناس حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبادل، لذا فهي أمكنة الانفتاح تنفتح علي العالم الخارجي، تعيش دوما حركة مستمرة تؤدي وظيفة مهمة في سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم"⁴⁶

في مثل "الأرنب والأسد" تدور أحداث هذه القصة حول مجموعه من الحيوانات تعمل علي خدمة الاسد وقد وصفهم الراوي بالجبن، فمقابل أن يعيشوا حياة آمنة كانوا لابد لهم من إحضار غذاء للأسد يوميا يقول الراوي "زعموا أن أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الارض من الوحوش في سعه المياه والمرعي شيء كثير، الا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة"⁴⁷، فقد اشتملت الأرض علي خيرات كثيرة فهي كثيرة المياه والعشب وعلي الرغم من تنوع الخيرات فيها الا أنهم محرومين من خيراتها بسبب خوفهم من الاسد وبهذا المثال نجد سيطرة القوة الحاكمة علي الفئة الضعيفة .

وكذلك تكررت الأرض في كليلة ودمنة في قصة "ملك الفيلة ورسول الأرناب" يقول الراوي "زعموا أن أرضا من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون، وأجذبت، وقل ماؤها، وغارت عيونها، و ذوي نبتها، ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد"⁴⁸. فأسند الراوي الأرض للفيلة ووصفها وشرح حالها وكيف صارت أرضا قاحلة جدداء مما نتج عنه عطش الفيلة الشديد واحتياجها للماء الذي نضب في أرضهم، لتكون النتيجة الحتمية الرحيل عنها طلبا للماء ومن ثم الحياة لينتقلوا إلى أرضا أخرى تكون سببا في بداية الصراع الذي تدور القصة الجديدة فيه مع الأرناب أصحاب الأرض الجديدة الأصليين.

ويلاحظ أن ابن المقفع كرر ذكر الأرض صريحا في "كليلة ودمنة" عدة مرات منها في باب "الناسك وابن عرس" يقول الراوي: "قال الفيلسوف: زعموا أن ناسكا بأرض

⁴⁶ الشريف حبيبة: "بنية الخطاب الروائي"، ص 244

⁴⁷ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، ص 175.

⁴⁸ المصدر نفسه: ص 298

جرجان وكانت له امرأة، فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا⁴⁹، فقد وصف لنا الراوي حياة الناسك وزوجته الصعبة في هذه الأرض، فجرجان أرض واقعية معروف مكانها بصورة عامة وإن لم تحدد بدقة ، ولكن الراوي لم يصفها ولم يتكلم عنها فهي فضاء مفتوح يوحي بالاتساع والتحرر ، فجرجان الفارسية هي "جرجان وجرجان: إقليم في فارس جنوب شرقي بحر قزوين"⁵⁰

تنوع المكان في باب "الحمامة المطوقة" فقد ذكر الراوي العديد من الأماكن منها أرض سكاوندجين وهي الفضاء العام الذي دارت فيه الأحداث وهذه الأرض بعد البحث عنها مكان خيالي ليس له وجود في الحقيقة، ومع ذكر الأرض ذكر مدينة داهر التي جرت فيها أحداث القصة التي تدور حول استعانة الحمام بصديقهم الجرذ لقرض الشبكة التي نصبها لهم الصياد

البستان:

بوصفه فضاء طبيعياً مفتوحاً يلجأ إليه الناس للتنزه وقضاء وقت ممتع وللترويح عن النفس، على الرغم من أن البستان والحديقة من الفضاءات الطبيعية المفتوحة ليس لهما حدود إلا أننا لم نلمس حضورهما عند ابن المقفع في كليلية ودمنة.

بينما جاء ذكر البستان عند ابن عرب شاه في الباب الخامس "في نوادر ملك السباع ونديمة" يقول "وكان في ذلك البستان نخلة كخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاورتها يد القدم فلم تصلح إلا للضرم فأرسل يسأل الصدقات الجزلة أن تهبه تلك النخلة فاستزل كسرى عقله وأجاب قصده وسؤله وهبة تلك النخلة فكان كل يوم يتوجه إليها ويسند ظهره ويعتمد عليها"⁵¹ تحدث ابن عرب شاه عن البستان كفضاء طبيعي مفتوح وانتقل في هذه الرواية ليصف لنا الشكل الخارجي للنخلة، فالنخلة التي بداخل البستان قد أصابها الهرم مثل نخلة مريم ،فالكاتب اراد رسم لوحة فنية جميلة عن طريق الوصف لتقريبها إلى ذهن القارئ .

⁴⁹ عبد الله بن المقفع: كليلية ودمنة ، ص 346

⁵⁰ المصدر نفسه: ص 281

⁵¹ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، ص 270

كما تحدث ابن عرب شاه عن الحديقة باعتبارها فضاء مفتوح للتنزه وقضاء وقت ممتع في "قصة ضياع خاتم كسري" فقال الراوي: "فقال: بلغني أن كسري أراد التنزه، فثني إلى حديقة عنان التوجه، وطلب الحكيم بزرجمهر، وجلسا تحت دوحة زهر، علي بركة ماء أصفي من دموع العشاق، وأنقي من قلوب الحكماء"⁵² تبدو الحديقة في المقطع السابق كلوحة فنية مليئة بالزهور تتخللها الأشجار من كل مكان، فعلي الرغم من وصف جمال الحديقة في هذه القصة إلا أننا لم ننسى ثوب التشاؤم الذي البسها الراوي لها بسبب ضياع خاتم كسري حيث كان كسري من المغرمين بهذا الخاتم، وصورة الحديقة كفضاء مفتوح واسع امتدت من مكان للتنزه والتسلية والتواصل الاجتماعي إلى مكانا مضاء بالرومانسية.

البيداء:

الصحراء هي المكان الواسع المفتوح وهي أيضا فضاء جغرافي مفتوح من حيث طبيعته، وهي رمز الأصالة والعراقة، فالصحراء غير مقيدة بالأعراف الاجتماعية، واستعمل الروائي فضاء الصحراء المفتوحة الذي يجمع بين الظاهر والباطن، فالظاهر يرمز بما يحويه من جمالية وأصالة فهي تعد بيئة جاذبة للمتلقي، أما باطنها يرمز إلى المخاطر والهلاك فهي تكشف عن الصراع الدائم بين القوي والضعيف، ولم نلمس حضور البيداء في حكايات "كليلة ودمنة"، ولكنها وردت عند ابن عرب شاه فضاء واسع للانتقام.

ففي الباب الثامن في "قصه الفلاح والذئب" يقول الكاتب "بلغني من أحد الأكابر، إن شخصا فلاحا، توجه إلى ضرورة صباحا، من غير رفيق ولا حامل سلاحا، فبينما هو في البيداء سائر، صادفه ذئب داعر، خاتل خاتر، فقصده ليكسره، ففر وصعد إلى شجرة، فترصد نزوله"⁵³ فالبيداء هنا فضاء مفتوح واسع غير متناهي الحدود ورمز للتعدي والقتل والحرب، وقد نجح المؤلف في تصوير الصراع القائم بين الفلاح والذئب بداية من رؤية الفلاح للذئب وهروبه وصعوده فوق الشجرة وانتظار الذئب نزوله، فتحولت الصحراء من مكان محبوب بالنسبة للفلاح كان يذهب إليها كل صباح إلى مكان مكروه، فالصحراء بالنسبة للفلاح أخذت دلالة الخوف والرعب من هجوم الذئب عليه والموت

⁵² ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء، ص247

⁵³ المصدر نفسه: ص420

والفناء وسيطرة القوي علي الضعيف فهي مكان موحش بالنسبة له ،وقد بدت علامات القوة علي الذئب من خلال وصف الراوي له فهو داعر خاتل خاتر.

الفضاء المغلق:

هو ملجأ الانسان للحماية فيه ،ويكون اختياره بالإرادة وليس بالإجبار وهو الفضاء الوحيد المليء بالذكريات ،فهو مأوي الانسان ،معزول عن العالم الخارجي ،فهو المكان الذي تحده حدود وله حواجز وقيود ،وتحدث باشلار عن المكان المغلق "يجب أن يحتفظ بذكريات ،ويتيح لها في الوقت ذاته الاحتفاظ بقيمتها الأساسية كصور ؛إن ذكريات العالم الخارجي لن يكون لها قط نسق ذكريات البيت ،وحين نستدعي هذه الذكريات فإننا نضيف إلى مخزون ذكرياتنا من الأحلام ؛إننا مؤرخين حقيقيين ،بل نحن أقرب إلى الشعراء ،وقد تكون انفعالنا ليست إلا تعبيراً عن الشعور الذي فقدناه "54.

فمن الأماكن المغلقة التي وردت في كليلة ودمنة وفاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء:

البيت:

يمثل البيت فضاء عائلياً ومكاناً مغلقاً يمنح الشخصية الاطمئنان والراحة بعيدا عن الفوضى والضوضاء في الأماكن الأخرى ، ففيه يسجل الانسان فيه ذكرياته ومشاعره وحياته منذ الطفولة ، وقد تحدث غاستون باشلار عن أهمية البيت بالنسبة للإنسان فقال "ركننا في العالم انه كما قيل مرارا كوننا الأول "55

والبيت مكان الاستقرار والدفء ف"الانسان بالمنزل أو المأوي أيا كانا، تحيل الانسان إلى هذه المثوية التي كثر التحدث عنها لاتصال أحد طرفيها "الداخل" اتصالا خاصا بالمنزل الأبوي أو المنزل الأموي، باعتبار المنزل أكثر الدواخل المكانية انتشارا، وأكثرها قدرة على احتواء الافكار والمشاعر، وأكثرها قدرة على طرح حميمة العلاقة بين الانسان والمكان "56.

54 غاستون باشلار: جماليات المكان، ص37

55 المصدر نفسه: ص31

56 صلاح صالح: قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ص83

وللبيت أهمية بالغة ورد في أشكال ودلالات متنوعة فوظيفة البيت الأساسية مصدر للترباط الاجتماعي، ولكنه في بعض المواضيع يتحول ويقوم بدلالات أخرى غير وظيفته الأساسية وتكون خلاف الحقيقة.

ورد المنزل عند ابن المقفع في قصه "مثل الرجل الصابر علي اللص " كالرجل الذي زعموا أن سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله، فعلم به فقال: والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع، فغلب الرجل النعاس فنام، واستيقظ الرجل، فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به. فأقبل على نفسه يلومها، وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص، إذا لم يستعمل في أمره ما يجب"⁵⁷. تدور أحداث القصة في منزل الرجل الذي دخل عليه لص في منزله، فقرر الرجل أن يصمت ولا يشعر السارق بوجوده حتي يأخذ ما يريده وقبل أن يخرج من منزله يمسك به ،ولكنه خلد إلى النوم وعندما استيقظ من نومه كان السارق قد أخذ كل شيء ، ومن خلال هذا المكان المغلق ألقى الضوء علي شخصية الرجل الذي عمد إلى اهمال العقل وعدم التفكير في الامور قبل ضياع كل شيء ، فتركيز الراوي هنا لم يكن منصبا علي وصف المكان نفسه، بل كان منزل الرجل مكانا مغلقا يتجول اللص في أرجائه ليسرق ما يريد وهذا المكان وقعت فيه أحداث الحكاية ،فتحولت دلالة المنزل من مكان للراحة إلى مكان مباح للصوص يدخلون دون اعتراض من أحد ويسرقون ما يشاؤون .

ورد البيت عند ابن المقفع في باب " الناسك وابن عرس " يقول الراوي: "فألت المرأة للناسك: أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود. ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والگلام ،،فتركه الناسك عند الصبي ،وأغلق عليهما البيت ،وذهب مع الرسول .فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء ،فدنت من الغلام ،فضربها ابن عرس ،فوثب عليه ،فقتلها ثم قطعها وامتأ فمه من دماها "⁵⁸. فالبيت هما كشف ما بداخل نفس الشخصية عندما غاب عقل الناسك و اراد الانتقام من صديقة الوفي ابن عرس بسبب غلبة طيشه بأنه هو من قتل ولده الذي طالما حلم به ولكن كانت نهاية الناسك الندم علي ما فعله وتسرعه في حكمه علي ابن عرس وقتله، فالبيت هنا مكان مغلق و مسرحا

⁵⁷ عبد الله ابن المقفع: كليلة ودمنة، ص 115

⁵⁸ المصدر نفسه : ص 348.

للأحداث تحركت فيه الشخصيات وقد ورد في القصة كمكان للصراع و وفيه فقد ولده وقتل صديقة الوفي.

المملكة وقصور الملوك:

المملكة مكان مغلق يقصده الملوك والأمراء بوصفه فضاء للسكينة فهذا الفضاء خاص بالملوك والأمراء والسلطين فلا يسمح إلا للأشخاص محددين الدخول فيه، فالقصر يشير إلى السلطان والنفوذ، وبالتالي فهو يومئ للطبقة الغنية، والمملكة من الأماكن المغلقة التي وردت في قصص كليلة ودمنة وقصص فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء.

ففي "كليلة ودمنة" وردت في باب القرد والغليم "قال بيدبا: زعموا أن قردا كان ملك القردة يقال له ماهر، وكان قد كبر وهرم، فوثب عليه شاب من بيت المملكة، فتغلب عليه، وأخذ مكانه،...، وطالت غيبه الغليم عن زوجته فجزعت عليه، وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت: قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله" ⁵⁹. فقد ذكر بيت المملكة هنا تعبيراً عن النسب إلى العائلة وصار هذا البيت معلماً على فئة محددة في المجتمع هي العائلة الحاكمة.

أما عند ابن عرب شاه في قصة "الحرامي مع الطامر" فقد وصف القصر الذي يعيش فيه الملك بدون ذكر لفظه صريح، ولكنه أظهر مواصفات القصر وتفصيلاته وكذلك وصف المكان من أجل خدمة المقطع السردى الموجود فيه، فالمكان هنا تدل على السمو والسلطة ومظاهر الترف والتي ظهرت من خلال مضمون الكلام " ثم قصد في بعض الليالي،...، من الدخول إلى الخزائن، فلاحته له فرصه فانتهزها، واستعمل دقائق صنعه وأبرزها، وانتقل من ذلك المبيت، و لطيء تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير، علي فراش الحرير، معانق الظبي الغرير، وخرزه التاج عند رأسه تقد، كأنها سراج متقد" ⁶⁰. فالقصر الجميل مكان مغلق لراحة الملوك والأمراء، فالسرير لم يكن للنوم فقط، ولكنه هنا بمثابة مكان حماية للحرامي، فالسرير هنا الملاذ الأمن والوحيد للحرامي، فالسرير هو المكان الذي لجأ فيه الحرامي ليختبئ فيه خوفاً من عواقب الملك.

⁵⁹ عبد الله بن المقفع : ص334

⁶⁰ ابن عرب شاه :فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص226

الطقيسي:

الطقيسي لفظة أعجمية فارسية لم أقف عليها في المعاجم اللغوية بيد أن عرب شاه شرحها في فاكهة الخلفاء بقوله والمقصود بالطقيسي هنا "غرفة أو مقعد ينام فيه أهل البيت صيفا لجودة تهويته" ⁶¹، فالطقيسي هي الغرفة الصغيرة المغلقة فوق سطح المنزل، والغرفة من الأماكن المغلقة الموجودة في كل بيت، وتسمى في مصر المقعد وتكون في الطابق الثاني، والغرفة غطاء للإنسان للاطمئنان فيه، يتحرك فيه بحرية تامة، ويتذكر فيها الكثير من ذكرياته، "فالغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، تصبح غطاء للإنسان يدخلها فيخلع جزءا من ملابسه، ويدخلها ليرتدي جزءا آخر وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما اطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها السدي والفكري، لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص" ⁶².

ورد الطقيسي عند ابن عرب شاه في قصة "المرأة البغدادية مع زوجها وحرقاتها الأربعة" يقول الراوي "وطلب مكانا يأويه، فلم يكن في دارها، مخبأة زوارها، سوي طقيسي لطيفة، يصعد إليها من سقيفه، فأرشدته إليها، فرقي عليها" ⁶³، فوظيفه الطقيسي "الغرفة" لا تقتصر هنا علي اعتبارها مكانا للراحة والهدوء والنوم لكثير من الناس، فقد ضاق بالمرأة البغدادية و تعدته إلى مكان مخبأة لحرقاتها الأربعة تأويهم فيه خوفا من زوجها.

الحجرة:

الحجرة مكان ذاتي خاص مغلق، يخص أناس دون غيرهم "الحجرة التي ينزلها الناس وهو ما حَوَّطُوا عليه" ⁶⁴، ويبدو واضح من شرحها أنها مأخوذة من لفظة حجر بمعنى الحجز والمنع لما حوله من حوائط وحدود وفيه معنى الحجر لاتفاقهما في الجذر اللغوي والنزول للوصول إليه، والتي وردت عند ابن عرب شاه في "قصة الحرامي مع الطامر" يقول الكاتب "قال: بلغني أن رجلا من الحرامية، واللصوص الكرارية، كانت نفسه ذات الخيانة، تحرضه علي الدخول من حواصل الملك إلى الخزانة، وإنها لرؤية الخزانة

61 المصدر نفسه: ص 448

62 ياسين النصير: الروية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار،، للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، ص 121

63 ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص 448

64 - ابن منظور: لسان العرب ط دار المعارف (2/782).

مشتاقته،...، فطلب صاحباً يتلفظ به إليه، ويعتمد في اكتتام سره عليه، واختلي في حجرته،... " 65 ، فالحجرة هنا مكان مغلق يلجأ إليه الحرامي لحفظ أسرارهِ.

السجن:

السجن فضاء مغلق بجدرانه وأبوابه الحديدية الثقيلة استبدادي ضيق و فهو حيز مكاني له حدود ، يتجاوز مصطلح المكان التقليدي بما يمثله هذا من حيز ضيق معزول عن العالم الخارجي ، وهذا الضيق يكون عبء علي الشخصية لأنه يقيد مكنيا ، وينطلق من ذلك إلى العالم النفسي فيؤثر فيها فيجعلها منغلقة علي نفسها ومعزولة عن المجتمع ،فهو عالم متناقض مع عالم الحرية ،والسجن فضاء الموت القهر والذل والحرمان والعذاب ،فالسجن من أماكن الإقامة الجبرية للإنسان فتعزله عن عالمه الخارجي ، وفي هذا نوع من العقاب النفسي المؤلم ، وعلي الرغم من هذا فإن السجن وسيلة من وسائل العقاب الذي تفرض الدولة حماية لها من كل الخارجين عن القانون والمجرمين في المجتمع ، فهو وسيلة عقابية ولولا وجود السجن لما كان فيه إصلاح للمجتمع ،وهو فضاء القهر والاستبداد والقمع وتقيد الحرية ،وكذلك القسوة والتعذيب من قبل القائمين عليه ،فالسجن "ذلك المكان المنعزل عن أعين الناس، وقد يكون مكانا يكبح الحياة أو يرفضها"⁶⁶

والسجن من وجهة نظر حسن بحراوي "نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، واثقال لكاهله بالالتزامات والمحظورات، فما إن تطأ أقدام النزير عتبة السجن مخلفا وراءه عالم الحرية، حتى تبدأ سلسلة العذابات، التي لن تنتهي سوي بالإفراج عنه"⁶⁷.

ورد فضاء السجن عند ابن المقفع في كليلة ودمنة حوالي 8مرات، مره في "باب السائح والصائغ وأربع مرات في" باب الفحص عن أمر دمنة" وثلاث مرات في" باب ابن الملك وأصحابه"، بينما ورد السجن عند ابن عر شاه مرتين في الباب الخامس "في نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع".

⁶⁵ ابن عرب شاه:فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، ص 225

⁶⁶ مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار، الذقل، المرفأ البعيد)، ص76

⁶⁷ حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي، ص55

"فدفع الأسد دمنة إلى القاضي، فأمر بحبسها، فألقي في عنقه حبلٌ، وانطلق به إلى السجن. فلما انتصف الليل أخبر كليلة أن دمنة في الحبس. فأتاه مستخفياً؛ فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود، وخرج المكان، بكى، وقال له: ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة والمكر، وإضرارك عن العظة؛ ولكن لم يكن لديّ بدٌّ فيما مضى من إنذارك والنصيحة لك والمسارعة إليك في خلوص الرغبة فيك: فإنه لكل مقام مقال؛ ولكل موضع مجال"68.

نجح السارد في تجسيد صورة دمنة داخل الفضاء المعادي بسبب لجوئه إلى المكر وعدم سماع النصيحة فكان مصيره السجن وسلب حرّيته وكذلك وصف الحالة النفسية الداخلية السيئة لكليلة بعد رؤية دمنة داخل السجن، واتخذ الكاتب فضاء السجن ليبين لنا السياسة المتخذة في تلك الفترة الزمنية، فهو مكان مغلق مقيد للحرية، فدمنة تعد شخصية خارجة عن القانون تسبب في دمار "شترية" الثور، فدخول دمنة السجن كان له تأثير سيء علي نفسه وكذلك من قهر وظلم المجتمع واسكات الأفواه من جانب الشخصية الطاغية الا وهي الملك والسمة البارزة لهذا الفضاء أنه يتسم بالقهر والذل، وكذلك نجد أن المقطع السابق احتوي علي علامات دلت علي الانغلاق من خلال الفاظ توحى بالضيق مثل الحبس ومستخفياً والقيود .

ورد السجن عند ابن عرب شاه في قصة "الحرامي مع الطامر" يقول السارد: "وكان الأسد قد استوفاه علي التمام، وقد أثار في أحشائه لهبا، نهض من مرقدته ممتلئاً غضبا، واستحال وتحرك وأمر بأبي نوفل فقبضوا عليه، ووضعوا الغل في رقبته والسلاسل في يديه ورجليه، وأمر إلى السجن برفعه، بعد التتكيل به وصفعه، ففتشوش خاطر صديقه، وجليسه ورفيقه. ثم انقض المجلس النظيم، ودخل الملك إلى الحرّيم. فتوجه أخو نهشل، إلى السجن المقل، ولام صاحبه أبا نوفل، وقال أيها الأخ الظريف، ألم تعلم أن الشخص إذا تكلم، يضبط كلامه عليه، ويعود محصول ما يلفظ به إليه،....، وأن كثرة الكلام، تضر بالنفس أكثر مما يضر بالبدن الطعام، وكل هذا المصاب انما جاء من قبل الإعجاب، وكثرة الكلام والغرور، وعدم التأمل في عواقب الأمور، قال الشاعر :

ما ندمت على سكوتي مرة... ولقد ندمت على الكلام مرارا "69.

68 عبد الله بن المقفع : كليلة ودمنة، ص151

69 ابن عرب شاه : فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص 227.

فالسجن في المقطع السابق كان عاقبة للحرامي بسبب تحدثه دون ضبط كلامه، فنجد السارد انتقل من وصف هذا المكان القهري إلى وصف ما فيه من أجواء مخيفة مثل ووضعوا الغل في رقبته والسلاسل في يديه ورجليه.

الشبكة:

مكان ضيق مغلق، من صنع الإنسان، فهو مكان مغلق له حدود مقيد للصيد الذي يقع فيه وحينما يغلق على الصيد يوحى بالخوف في نفوسهم " "وأغدف بالطائر وأغدف عليه أرسل عليه الشبكة وفي الحديث إن قلب المؤمن أشد اضطراباً من الخطيئة يصيبها من الطائر حين يُغْدَفُ به أراد حين تُطَبَّقُ الشِّبَاكُ عليه فيضطرب لئُفَلَّتْ وأغدف الصيادُ الشبكة على الصيد"⁷⁰.

وردت الشبكة في كتاب كليلة ودمنة ولم نلمس حضورها في كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء". ففي كتاب "كليلة ودمنة قصة الحمام والصيد والتي ور حول مساعدة الاخوان

العش:

ومن ثم يوظف العش علي أنه الملاذ الآمن للطائر، مكان مغلق ضيق، جاء العش في لسان العرب بقوله "عشش (عشش الطائر الذي يجمع من حُطام العيدان وغيرها فيبيض فيه يكون في الجبل وغيره وقيل هو في أفنان الشجر فإذا كان في جبلٍ أو جدار ونحوهما فهو وَكْرٌ وَوَكْرٌ وإذا كان في الأرض فهو أُفْحُوصٌ وَأُدْجِيٌّ وموضعٌ كذا مَعْشَشَ الطيور وجمعه أَعْشَائِشٌ وَعِشَائِشٌ وَعِشَوِشٌ وَعِشَشَةٌ"⁷¹، والعش يطلق على بيت الطائر في الشجر وقد يطلق عليه في الجبل وقتها يسمى وكرا .

والعش من الفضاءات المغلقة المهمة التي وردت التي وردت في كليلة ودمنة وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لما له من علاقة بالحيوان الذي يعيش فيه، إذ إنه ركنه الخاص

70 - ابن منظور: لسان العرب ط دار المعارف (5/ 3218)

71 - المصدر نفسه: (4/ 2957)

والمأوي الذي يعيش فيه الطائر، فيشعر بالراحة والطمأنينة والأمان "المكان الذي يحمل الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه"⁷²

ورد العش عند ابن المقفع في قصة "الحمامة والثعلب ومالك الحزين" يقول الراوي "زعموا أن حمامة تشرع في نقل العش إلى رأس تلك النخلة، فلا يمكنها ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة تعب ومشقة، لطول النخلة وسحقها"⁷³. فالعش هنا مأوي للحمامة وفراخها وبسبب خوفها من الثعلب كانت تنقله على رأس النخلة لتحافظ على أطفالها من الثعلب، وبسبب طبيعتها الزائدة والسذاجة والحمق كانت تلقي فراخها للثعلب، وعندما مر عليها مالك الحزين وجدها حزينة ونصحها بأن لا تلقي فراخها للثعلب مرة أخرى، ولكنه عجز عن نصيحة نفسه حتى قتله الثعلب وأكله، فالعش هنا مكان مغلق يحمل معاني السكن والاستقرار بالنسبة للطائر، ولكنه لا أمان فيه بسبب مكر الثعلب الذي لم يترك صغارها يعيشون فيه.

ورد العش عند ابن المقفع ولكنه حمل معاني الغدر والانتقام في قصة "مثل الحمامتين" وهي قصة متفرعة من باب "إيلاذ وبلاذ وإيراخت" والتي تحمل معاني التعاون والوفاء واحترام الزوجة لقرارات زوجها، تحكي القصة حكاية حمامتين ذكر وانثى اتفقا علي ادخار الشعير حتي إذا جاء فصل الشتاء ولم يجدوا طعاما فيأكلون منه "قال إيلاذ زعموا أن حمامتين، ذكر وأنثى، ملأ عشهما من البر والشعير"، فالزوجة تحب زوجها وتحترمه حتي موتها ولكن الزوج عذبها وعاقبها حتي ماتت علي الرغم من حبه لزوجته، فعاقب فتوقف عن الطعام والشراب مات لأنه ظلم زوجته وندم علي موتها، فهذه القصة اشتملت علي مكان واحد وهو العش، فالعش بالنسبة للحمامتين مكان مغلق وهو مأوي أمانا لهم، فالعش كان مسرحا للأحداث فيها، فالعش هنا يحمل معنيين وهما منزل الزوجية الذي يشكل الملاذ والحماية لهما من العالم الخارجي ووضعاً فيه خزينهما من البر والشعير لما فيه من عناصر الأمان، والمعني الاخر مكان للانتقام والغدر.

ورد العش عند ابن عرب شاه في الباب الخامس في قصة "القلق والعصفور" يقول الكاتب " فقال: بلغني يا سلطان الأسود، أن نبي الله سليمان ابن داود، عليهما السلام، كان في سيرانه، مع خواص أركانه، فمر بذلك الطلب، علي شجرة دلب، للقلق فيها عش

⁷² مهدي عبيدي: جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه (حكايات بحار، لدقل، المرفأ البعيد)، وزارة الثقافة، 2011، ص47

⁷³ عبد بن المقفع: كليلة ودمنة، د حبيب يوسف مغنية، ص443.

،قد بناه كأحسن عش ،وقد استوكر في عشه عصفور ،واحتمي بجواره من مؤذيات أبي مذعور ،فكانا يتخاصمان ويتقاولان و يتقاولان ويتواصمان ويتصاولان ،فوقف النبي الكريم ،واستوقف الجند العظيم ،ليسمع ما يقولان ،.....، وإنما سلمتم بجواري وبقربكم من داري "74. فقد عبر عن العش بموضع الاحتماء ومكان الستر والواقية من الأعداء، وذكر موضعه على شجرة دلب ووصفه بصفات الحسن.

الوكر:

الوك كما سبق هو عش الطائر إذا كان في الجبل قال ابن منظور " (وكر) وَكَرُّ الطائر عَشُّه ابن سيده الْوَكْرُ عَشُّ الطائر وإن لم يكن فيه وفي التهذيب موضع الطائر الذي يببض فيه ويُفَرِّخُ وهو الْخُرُوقُ في الحيطان والشجر والجمع القليل أَوْكْرٌ وَأَوْكَارٌ قال إن فراخاً كفراخ الأوكر تَرَكَتْهُمُ كبيرُهُم كالأصغر وقال من دُونِهِ لِعِتاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارٌ والكثير وَكُورٌ وَوَكْرٌ وهي الْوَكْرَةُ الْأَصْمَعِي الْوَكْرُ وَالْوَكْنُ جميعاً المكان الذي يدخل فيه الطائر وقد وَكَنَ وَكَنْ يَكْنُ وَكُنَّا قال أبو يوسف وسمعت أبا عمرو يقول الْوَكْرُ الْعَشُّ حيثما كان في جبل أو شجر"75 ، فالوكر نوع من أعشاش الطيور التي تبني في الجبل.

يمثل الوكر فضاء طبيعي هاما في حياة الحيوان، فهو ملجأ للحيوان يجد فيه الراحة والامان، فالوكر مكان يختبئ فيه الحيوان ليحمي نفسه من أي عدو خارجي، فهو فضاء مغلق، لمسنا حضوره في كتاب كليلة ودمنة وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء.

فورد في كتاب كليلة ودمنة " قال بيدبا: زعموا أنه كان في جبل في الجبال شجرة من شجر الدوح، فيها وكر ألف غراب، وعليهن وال من أنفسهن، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بوم، وعليهن وال منهن. فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته، وفي نفسه العداوة لملك الغربان، وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم، فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها، فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً، وكانت الغارة ليلاً، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم، وما منّا إلا أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو مقطوف الذنب وأشد مما أصابنا ضراً علينا جراءتهن علينا، وعلمهن بمكاننا، وهن عائدات إلينا غير

74 ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص277.
75 - ابن منظور : لسان العرب ،ط دار المعارف، (6/ 4906)

منقطعات عنّا: لعلمهنّ بمكاننا: فإنما نحن لك، ولك الرأي، أيها الملك، فانظر لنا ولنفسك، وكان في الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأي، يسند إليهنّ في الأمور، ويلقى عليهن أزمة الأحوال. وكان الملك كثيراً ما يشاورهن في الأمور، ويأخذ آراءهن في الحوادث والنوازل،⁷⁶، فعبرت القصة عن إغارة اليوم على الغربان ي أوكارها ومطن سكنها وسترها، وصار الوكر مكانا مكشوفاً معتاداً للأعداء ولم يعد ملاذاً أماناً كما كان من قبل.

الجحر:

يعد الجحر من الأماكن الذي يعيش فيه أنواع خاصة من الحيوانات والتي تعد من الأماكن الحقيرة على حد قول ابن سيده: "الجحر كل شيء تحنقره الهوام والسباع لأنفسها والجمع أبحارٌ وجحرةٌ وقوله مقبضاً نفسي في طميري تجمع القنفذ في الجحير فإنه يجوز أن يعني به شوكة ليقابل قوله مقبضاً نفسي في طميري وقد يجوز أن يعني جحره الذي يدخل فيه وهو المبحر ومجاحر القوم مكائمهم وأجحره فأنجحر أدخله الجحر فدخله وأجحرتُه أي أجاته إلى أن دخل جحره وجحر الضب"⁷⁷، يمثل الجحر مكاناً مغلقاً مهما من الأماكن التي يعيش فيها الحيوان، فالجحر بمثابة مكان عيش واستراحة للحيوان، فهو موطنه الأصلي يشعر فيه بالراحة يدخله لكي يهرب ويختبئ فيه، ويشعر بالأمان من أي عدو خارجي، فالجحر غطاء وأمان للحيوان، فهو الملاذ الآمن للحيوان.

ورد الجحر كمكان مغلق عند ابن المقفع في باب "الجرذ والسنور" تدور أحداث هذه القصة حول الجرذ والسنور، على الرغم من علاقة الجيرة بينهم فقد كانا يعيشان في جحران متقاربان، إلا أن هناك علاقة أخرى تربط بينهما وهي علاقة المفترس وفريسته، فقد دارت أحداث هذه القصة في مكان واحد وهذا المكان قريب من شجرة عظيمة. "قال ببديا: زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي وكان قريباً منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيراً يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطيور فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريباً من موضع رومي فلم يلبث أن وقع فيها"⁷⁸.

⁷⁶ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، ص 293

⁷⁷ لسان العرب: دار المعارف، (1/ 548)

⁷⁸ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، ص 353

ورد الجحر أيضا عند ابن المقفع في قصة "مقتل الأسود الثعبان" يقول الراوي: "قال ابن أوى: تنطلق فتبصر في طيرانك: لعلك أن تظفر بشيء من حلي النساء فتخطفه؛ ولا تزال طائراً واقعاً، بحيث لا تفوت العيون، حتى تأتي حجر الأسود فترمي بالحلي عنده. فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الأسود. فانطلق الغراب محلقا في السماء؛ فوجد امرأة من بنات العظام فوق سطح تغتسل؛ وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية؛ فانقض واختطف من حليها عقداً، وطار به، فنتبعه الناس؛ ولم يزل طائراً واقعاً، بحيث يراه كل أحد؛ حتى انتهى الأمر إلى جحر الأسود؛ فألقى العقد عليه، والناس ينظرون إليه. فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الأسود. وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجرى مالا تجزئ القوة. قال كليلة: إن الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول. ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل."⁷⁹ اعتمد الراوي على أن الجحر بيت الأسد وهي تسمية غريبة لعرين الأسد لكنه كان عرين شؤم تسبب في مقتل سكانه من الأسود ولوسمي بالعرين لكان مدعاة للفخر وعلامة القوة والحماية لسكانه.

البئر:

ورد معنى البئر في لسان العرب " (بأر) البئرُ القَلْبُ أنثى والجمع أَبَارٌ بهمزة بعد الباء مقلوب عن يعقوب ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول أَبَارٌ فإذا كُنِيتُ فهي البِئَارُ وهي في القلة أَبُورٌ وفي حديث عائشة اغتَسَلِي من ثلاث أَبُورٍ يَمُدُّ بعضها بعضاً أَبُورٌ جمع قلة للبئر ومدّ بعضها بعضاً هو أن مياهها تجتمع في واحدة كمياه القناة وهي البِئْرَةُ."⁸⁰ ، يعتبر البئر أحد الفضاءات المغلقة الضيقة وله حدود، وليس ملكاً لأحد ويوحى بالخوف والمجهول بمجرد الاقتراب منه، وقد سجلنا حضوره في قصص "كليلة ودمنة" وفي قصص "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء". ورد البئر عند ابن المقفع في قصة "الحية والقرد والببر" ولكن بمصطلح آخر وهو الركية وهذه القصة تناقش الغدر ونكران الجميل والمغزى من القصة أن الحيوان يكون أقرب إلى الوفاء والخير من الانسان "قال الفيلسوف: زعموا أن جماعة احتقروا ركنية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر"⁸¹ فالركية هنا مكان محدود مغلق دار فيه أحداث القصة، فاكتفي المؤلف بذكر المكان دون

⁷⁹ عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، تقديم دكتور صلاح فضل، تحقيق وتعليق، محمد فتحي أبو بكر، ص 166

⁸⁰ - ابن منظور: لسان العرب، ط دار المعارف (1/199)

⁸¹ ابن المقفع: كليلة ودمنة، ص428

اللجوء إلى وصفه، واختاره ابن المقفع البئر لأنه يمثل سجنًا للشخصيات الأربعة وهم الصائغ، والحية والقرد والبيبر.

أما عند ابن عريشاه فقد ورد البئر في قصة "امرأة النجار" والتي تدور أحداثها حول امرأة النجار، كانت تقضي طول الليل مع رفقاء السوء إلى الصباح، فظل زوجها النجار يراقبها فترة حتى تأكد من خيانتها، وعندما ضبطها قالت "الموت أهون من الفضيحة فاعفر لي هذه القبيحة وأنا أحلف يا ودود بالله الرب المعبود أنني أتوب ولا أعود ثم ألحت عليه وتضرعت لديه فلم يفتح لها بابا ولا رد عليها جوابا فقالت والله اللطيف الخبير لنن لم تفتح الباب لألقين نفسي في هذا البير ولأرمينك بقتيل بين الحقيير والجليل ثم عمدت إلى حجر كبير وطرحته في تلك البير ثم اختفت عند الباب لتتظر ما يبرزه القضاء من الحجاب فلما سمع زوجها خبطة الحجر تصور أنها تلك البغي فابتدر وفتح الباب وإلى نحو البئر طفر ولم يشك أن تلك البغي ألقته نفسها في الطوى فما وصل إلى البير ذلك الرجل الغرير إلا وقد دخلت في وسط الدار ثم أوصدت الباب واستغاثت بالجيران والأصحاب وأحكمت الرتاج وأوقدت السراج وملأت الدنيا بالعياط وأخذت في الهياط والتمياط فاجتمع الجيران لينظروا ما هذا الشأن فقالت هذا الرجل الظلام يتركني كل ليلة حتى أنام ثم يتوجه إلى الزواني ويدعني أقاسي القلق وأعاني وأنقلب في أرقى وأشجاني فأخذ الرجل يحلف بالله ذي الجلال ويذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق وأخرى يكذب وهو بين مصدق منهم ومذبذب فلم يزالا في عويل وصياح إلى أن ظهر تباشير الصباح فحضرا إلى القاضي واختصما وشهد بعفة الرجل الصلحاء والعلماء وأظهر الله الحث وثبت على المرأة الخيانة والفسق ولولا ذلك لذهب البريء غلطا وانقلب صواب المحق الصادق خطأ.⁸² وكان توظيف البئر هنا بمثابة الشرك الذي صنعتته الزوجة الخائنة لزوجها لتغطي بها على فضيحتها.

الكهف:

قارن ابن منظور بين الكهف والغار وهو يشرح معنى الكه فقال " (كهف) الكهف كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها فإذا صغر فهو غار وفي الصحاح الكهف كالبيت المنقور في الجبل وجمعه كهوف وتكهف الجبل صارت فيه كهوف وتكهفت البئر صار

⁸² ابن عرب شاه، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، ص 430

فيها مثل ذلك ويقال فلان كهف فلان أي ملجأ الأزهرى يقال فلان كهف أهل الرّيب إذا كانوا يلودون به فيكون وزراً وملجأ لهم وأكبهت موضع وكهفة⁸³ مكان مغلق ي الجبل، مأوي للإنسان وكذلك للحيوانات ورد ذكره عند ابن المقفع في أكثر من قصة فعلي سبيل المثال في قصة: "اللبوة والأسوار والشغبر" الراوي: "قال الفيلسوف: زعموا أن لبوءة كانت في غيضة ولها شبلان، وإنها خرجت في طلب الصيد، وخلفتها في كهفها، فمر بهما إسوار فحمل عليهما ورماهما، فقتلها وسلخ جلديهما، فاحتقبهما وانصرفا إلى منزله. ثم إنهما رجعت، فلما رأت ما حل بهما من الأمر الفظيع، اضطربت ظهرا لبطن، وصاحت وضجت".⁸⁴ فقد كانت اللبوة تخرج إلى الصيد وتترك شبليها في الكهف فهذا المكان بالنسبة لهم مكان حاضنا مغلق عليهم أمنا، وفي هذا المكان أيضا شاهدنا مصرعهما وقتلها وسلخها علي يد الاسوار داخل الكهف، فتحول الكهف من مكان له دلالات إيجابية تعطي الشعور بالأمان والاطمئنان لمن يعيش داخله إلى دلالات سلبية وهي الخوف من المجهول .

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الفصل بما يأتي:

-يتشكل العمل الروائي من مجموعة من العناصر لعل أهمها الفضاء فلا يمكن الاستغناء عنه في النص؛ فهو مسرح الأحداث، والإطار الذي تدور فيه حركات الشخصيات وتفاعلها داخل العمل السردى، وعلى الرغم من تعدد المصطلح فإن الفضاء يتسم بالشمول والاتساع، فالفضاء يحوي المكان لأن المكان أصغر من الفضاء وجزء منه.

-تعددت أنواع الفضاءات في كتاب كليلة ودمنة وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء فتظهر مرة مفتوحة ومرة مغلقة، واعتمد كل من ابن المقفع وابن عرب شاه علي الجانب الخيالي في ذكر بعض الأماكن غير الموجودة في الواقع.

-منح المؤلفين الأماكن أسماء بعضها حقيقي مطابقا للواقع مما جعلها تتصف بكونها أكثر مرجعية مثل بلاد الهند والصين وبغداد وغيرها من الأماكن في كتاب "كليلة ودمنة"، وفي كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، وبعضها تخيلي ليس له وجود في الواقع.

⁸³ ابن منظور: لسان العرب ط دار المعارف (5/3946)

⁸⁴ المصدر نفسه، ص 388

-
- الاكتفاء بالإشارة العابرة للأماكن فقد تخلي كل من المؤلفين عن وصف الأمكنة مما جعل إدراك الأمكنة صعبا بالنسبة للقارئ في كتابين محل الدراسة.
- أن المؤلفين ركزا الضوء منذ بداية الحكاية بذكر المكان أو الفضاء التي تدور فيه أحداث الحكاية في الافتتاحية.
- طغي الفضاء المفتوح الشاسع بكثرة في الكتابين محل الدراسة على الفضاء المغلق حتى يترك للشخصيات التعبير عما بداخلهم بحرية تامة دون قيود.